

النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس

خلال العصر الوسيط

الدكتور: مرزاق بومداح

المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة-الجزائر

تاريخ الاستلام: 2024/11/05 تاريخ القبول: 2024/12/05 تاريخ النشر: 2024/12/18

الملخص:

شهدت العلاقات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس خلال العصور الوسطى ازدهارا كبيرا، وكان لهذا الازدهار عوامل عدة ومن أهمها: الموقع الجغرافي، وتنوع شبكة الطرق البحرية التي كانت تربط بين سواحل البلدين، وتوفر عدة موانئ لتسهيل عملية التصدير والاستيراد، ووجود مراكز تجارية كبرى كانت تساهم في تنمية المبادلات التجارية، وبناء العديد من الفنادق بين البلدين لإيواء التجار القادمين من البلدين، بالإضافة إلى العامل السياسي والاقتصادي، وقد أدى ذلك إلى ظهور مراكز تجارية كبرى فمن المغرب الأوسط نذكر: بونة، بجاية، جزائر بني مزغنة، تنس، وهران، هنين، ومن الأندلس: قرطبة، إشبيلية، المرية، مالقة. ومن أهم صادرات المغرب الأوسط نحو الأندلس نذكر الحبوب وعلى رأسه القمح والحنطة، والتمور، والماشية وخاصة الغنم والبقر والخيول، بالإضافة إلى المرجان، وتصدير الذهب والعبيد القادم من بلاد السودان الغربي، وأما عن واردات المغرب الأوسط من الأندلس فكان من أهمها: الحرير، وبعض المعادن كالزئبق، وبعض المواد المصنعة كالآلات والأواني النحاسية، والحرير، والورق، والعبيد.

كلمات مفتاحية: المغرب الأوسط؛ الأندلس؛ النشاط التجاري؛ المراكز التجارية؛ الصادرات؛ الواردات

:Summary

Trade relations between the Central Maghreb and Andalusia witnessed great prosperity during the Middle Ages, and this prosperity had several factors, the most important of which were: the geographical location, the diversity of the network of sea roads that linked the coasts of the two countries, the availability of several ports to facilitate the process of export and import, and the presence of major commercial centers that were It contributes to the development of commercial exchanges, and the construction of many hotels between the two countries to accommodate merchants coming from the two countries, in addition to the political and economic factor. Major commercial centers have been established. From Central Maghreb, we mention: Bouna, Bejaia, Beni Mezghna Algeria, Tennis, Oran, Henin, and from Andalusia: Cordoba, Seville, Almería, Malaga. Among Central Maghreb's most important exports to Andalusia, we mention grains, led by wheat, wheat, dates, and livestock, especially sheep, cows, and horses, in addition to coral, and the export of gold and slaves coming from Western Sudan. As for the imports of Central Maghreb from Andalusia, the most important of them were: silk, and some metals such as mercury. And some manufactured materials, such as machines, copper utensils, silk, paper, and slaves.

Keywords: Central Maghreb; Andalus; commercial activities; Shopping Center; exports; Imports.

مقدمة

تعود العلاقات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس إلى فترة العصور القديمة، وازدادت نشاطا ومتانة خلال العصر الإسلامي، وكان للنشاط التجاري نصيب كبير في تحقيق التواصل الحضاري بين البلدين. تحاول هذه الدراسة التطرق إلى أهم العوامل التي ساهمت في تعزيز النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس، ومعرفة أشهر المراكز التجارية، وأهم صادرات وواردات البلدين.

أولاً: عوامل ازدهار النشاط التجاري بين بلاد المغرب والأندلس:

ساهمت عدة عوامل في ازدهار النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس، ومن أهمها نذكر الآتي:

1- الموقع الجغرافي:

يقع المغرب الأوسط ومعه بلاد الأندلس في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط فالمغرب الأوسط يقع في جنوبه والأندلس في شماله، وعند دراسة الموقع الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس نلاحظ أنه يفصل بينهما البحر الأبيض المتوسط، ويظهر لنا من خلال الدراسة تقارب الضفتين وتقابلهما.

وعند حديث شارل أندري جوليان عن تضاريس بلاد المغرب والأندلس يذكر أن أوجه التشابه بين تضاريس غربي المغرب الأقصى وإسبانيا (الأندلس) كبير جداً، فلو أمكن ضم تضاريس البلدين بعضهما إلى بعض حول مضيق جبل طارق لطابق الريف سلسلة جبال البيتيس (Cordillère Bétique) ولتقابلت مهاد تازة وسبو والغرب الأندلس، ولطابق جبال الأطلس الأوسط الهضاب الإسبانية، ولتطابق أيضاً جبال الأطلس الأعلى مع جبال البرينية.

وكذلك الأمر بالنسبة للمغرب الأوسط حيث نلاحظ تطابق أقاليمه مع أقاليم الأندلس الشرقية والجنوبية، مما سهّل الاتصال المباشر بين البلدين عن طريق مجموعة من الطرق البحرية التي أقيمت على طول سواحل المغرب الأوسط والأندلس¹.

وبفضل القرب الجغرافي بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس وخاصة الجهة الغربية فقد كانت التجارة بين البلدين تتم بصورة دائمة ومستمرة.

2-العوامل السياسية:

كانت العلاقات السياسية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس علاقات قوية ومتينة ومزدهرة، ففي فترات عديدة خضع الإقليمين لسيطرة سلطة سياسية واحدة، وهذا منذ عهد الولاة حيث كان والي المغرب في بعض الأحيان يُعين والي الأندلس من قبله، وكلا البلدين كانا يخضعان لسلطة الخلافة الأموية بدمشق، وكانا معا تحت حكم المرابطين ثم الموحيدين، أما في الفترات التي كان فيها كل بلد مستقل بسلطته السياسية كما حدث في عهد الدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط والدولة الأموية في الأندلس، وفي عهد الدولة العبيدية التي كانت العلاقات فيها متوترة مع الدولة الأموية²، وأيضا في عهد الدولة الزيانية وعهد مملكة غرناطة حيث كانت كل دولة منهما مستقلة عن الأخرى، ورغم التوتر والعداء الذي كان يحدث مع الكيانات السياسية القائمة آنذاك فإن العلاقات التجارية ظلت قائمة ولم تنقطع، حيث كانت هناك عدة رحلات تجارية بين الموانئ الأندلسية وموانئ المغرب الأوسط، وكانت هذه الرحلات منتظمة سنوية أو نصف سنوية لا تلقي بالا للخلاف السياسي أو المذهبي³.

3-العوامل الاقتصادية:

ازدهرت العلاقات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس، وهذا للأهداف والمصالح المشتركة بين البلدين، وخاصة في الميدان

الاقتصادي، حيث رأى الأندلسيون في بلاد المغرب الأوسط بلادا خصبة لتسويق منتجاتهم الصناعية وجلب المواد الأولية، والأكثر من ذلك فقد رأوا في بلاد المغرب الأوسط طريقا رابطا بين بلاد الأندلس وبلاد السودان الغربي، وذلك باعتبار أن السودان الغربي كان تحتوي على أثمان البضائع خلال العصور الوسطى وخاصة الذهب والرقيق والملح، وبالتالي لا يمكن الوصول إلى منتجات السودان الغربي إلا عبر بلاد المغرب الأوسط الذي كانت تربطه بتلك المنطقة بعدة طرق ومسالك تجارية، فكان المغرب الأوسط يقوم بدور الوسيط في نقل البضائع والسلع من السودان الغربي إلى موانئه ومن بعدها توجه إلى الموانئ الأندلسية. وكان سكان المغرب الأوسط بحاجة إلى المنتجات الأندلسية، وخاصة المواد المصنعة بشتى أنواعها، وقد شكل هذا التقارب تكاملا بين الإقليمين في الميدان الاقتصادي، وقد نجح الأندلسيون وسكان المغرب الأوسط في تكوين شبكة تجارية رائجة منحتهم مكانة تجارية هامة في حوض البحر الأبيض المتوسط، مستغلين في ذلك مهارتهم في أمور الملاحة البحرية وأمور التجارة. فكانت الأساطيل التجارية في موانئ الأندلس كإشبيلية ومالقة ودانية وبلنسية والمرية تعمل بين كل مدن المغرب الأوسط وتحمل على ظهرها البضائع المصدرة زراعية كانت أو صناعية. وقد حقق ذلك الازدهار التجاري والاقتصادي لكلا البلدين⁴.

4- انتشار المراكز التجارية:

انتشرت العديد من المراكز التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس، وعملت هذه المراكز التجارية على تزويد التجار والمسافرين بكل ما يلزمهم من غذاء وماء، وغالبا ما كان تجار بلاد المغرب الأوسط وتجار بلاد الأندلس يقومون بعرض بضائعهم في تلك المراكز التجارية، وبالتالي تحولت هذه المراكز إلى نقاط ارتكاز للتجارة بين البلدين، ومحطات لانطلاق القوافل التجارية باتجاهها، واشتغلت أعداد كبيرة من سكان هذه المراكز بالتجارة

الداخلية والخارجية، فكان التجار يقومون بمهمة جمع البضائع والسلع من مختلف أنحاء بلاد المغرب الأوسط أو بلاد الأندلس على حد سواء. وبالتالي عرف التواصل التجاري بين المغرب الأوسط وبلاد الأندلس تطوراً ملحوظاً في مختلف الميادين، وخاصة في المجال التجاري⁵.

وقد أدى ازدياد حركة النشاط التجاري في بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس، وكثرة التجار الواردين إلى البلدين إلى بناء العديد من الفنادق داخل الأسواق، وذلك لمبيت التجار الأجانب والاحتفاظ ببضائعهم داخل هذه الفنادق بعد إغلاقها بأقفال رومية الصنع، وكانت هذه الفنادق تتكون من عدة طوابق ومقسمة إلى عدة أمكنة بعضها مخصص للنوم والراحة، وبعضها الآخر مخصص لعقد الصفقات التجارية من عقود بيع وغيرها، وقد انتشرت هذه الفنادق في كل بلاد الأندلس وبلاد المغرب الأوسط. وعلى سبيل المثال فإن مدينة المرية كانت تحتوي على 997 فندقاً⁶.

5- قيام بعض الأندلسيين بتأسيس بعض المدن على طول سواحل المغرب الأوسط:

كان لتزايد نشاط البحارة الأندلسيين في حوض البحر الأبيض المتوسط ولعوامل أخرى أثر إيجابي على تطور ونمو حركة العمران في بلاد المغرب الأوسط، وذلك ببناء وإعادة إحياء مدن قديمة أصبح لها شأن معتبر وخاصة في المجال الاقتصادي والتجاري، ومن هذه المدن نذكر: تنس، وهران. -تنس: كانت هذه المدينة مركز ومحطة فينيقية وتجارية هامة في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط منذ القرن 2 قبل الميلاد، وبقيت كذلك خلال العهد الروماني، وفي القرنين 2-3هـ/8-9م كان تردد تجار البيرة وتدمير ومختلف مدن الأندلس على تنس بشكل كثيف، وفي فصل الشتاء حيث تتعذر حركة الملاحة يقيم التجار قرب المرسى إلى غاية انقضاء فصل الشتاء ثم يعودون إلى الأندلس، وكان ممن فاوضهم سكان تنس الأصليين من البربر ورجبوا منهم في الانتقال والسكنى معهم، وأن يتخذوا قلعتها سكناً مقابل ما

يبدلون لهم من العون وحسن المعاشرة ويقطعونهم من أراضيهم لبنانيهم، فأجابوهم لذلك وشرعوا في البنيان مؤسسين لتنس الحديثة، وذلك في سنة 262هـ/876م ثم رحل إليها بعد ذلك الكثير من العائلات الأندلسية، كما أغرى أهل سوق إبراهيم فرحلوا إليها في أربعمائة بيت فلاقوا الترحاب والعون من أهل تنس الحديثة، واستمرت تنس في زيادة المحطات التجارية للمغرب الأوسط في العهدين الحمادي والموحدي بفضل جهود هؤلاء الأندلسيين ومهارتهم التجارية التي أخذها عنهم مع مرور الوقت أصلاء تنس⁷.

-وهران: تتشابه ظروف تأسيس مدينة وهران بظروف تأسيس مدينة تنس الحديثة، حيث كان البحارة الأندلسيون ينتجعون موضع وهران ويترددون عليه للتجارة فيه، وبالاتفاق مع سكانها من قبيلة نفزة وبني مسقن من قبيلة إزداجة في سنة 290هـ/903م قام محمد بن أبي عون ومحمد بن عدون وبقيّة البحارة ببناء مدينة وهران المدينة وسكنوها، وأصبحت وهران من أهم المراكز التجارية بفضل اتصال تجارتها بمراسي بلاد الأندلس استيرادا وتصديرا مروراً أحيانا بمراسي المغرب الأقصى، حيث ذكر عبد الحق الباديسي في نهاية القرن 7هـ/13م وبداية القرن 8هـ/14م أن قارباً كبيراً كان محملاً بالتين والزيتون وصل إلى إشبيلية إلى مرسى بادس وعازماً على التوجه إلى وهران⁸.

6-الهجرات والرحلات: هاجر الكثير من سكان بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب الأوسط وهذا لعوامل عدة وخاصة عند ظهور الفتن واندلاع الحروب سواء كانت داخلية كما حصل في عصر ملوك الطوائف في القرن 5هـ/11م، أو حروب خارجية مع الممالك النصرانية كقشتالة وأرغون، وهذا منذ القرن 2هـ/11م إلى غاية القرن 9هـ/15م، وقد كانت للأندلسيين مهارات كثيرة وحرف عديدة، وبعد نزوحهم وهجرتهم من بلادهم لم ينسوا بطبيعة الحال تلك المهارات والخبرات، وإنما وظفوها في بلدتهم الجديد (المغرب الأوسط)، وأدخلوا أساليب جديدة ومتطورة وخاصة في الميدان الزراعي كزراعة الزيتون، والحوامض والتوت وغيرها، كما عملوا على إحياء الأراضي الموات، وقاموا ببناء العديد من القرى

وجملة من المصانع والمناجم، وقد عرف عن بعض الأندلسيين تفوقهم في مجال السقي وجلب المياه إلى البساتين والحقول، ومما عرف به أيضا أن الأندلسيين أنهم كانوا متخصصين في بعض الحرف كصناعة الجلود ونجارة الخشب وحياسة القطن وغزل الصوف، وقد ساهم هذا كله في تنشيط الحركة التجارية من خلال تزويد السوق المحلية بمختلف المنتجات الزراعية والصناعية، وكذا تقليد السكان المحليين لهم والتعلم منهم تلك مختلف الحرف والمهارات، فساعد ذلك كله في تطور اقتصاد بلاد المغرب الأوسط التي حل بها الأندلسيون، وساهم هؤلاء المهاجرين بقسط كبير في الحركة التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس⁹.

ثانيا: الطرق التجارية:

من أهم الطرق التجارية التي كانت تربط بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس، وهي طرق بحرية وليست برية -لأنه كان يفصل بين البلدين البحر الأبيض المتوسط- نذكر ما يلي.

1-الطريق البحري الرابط بين مرسى ترنانا ومرسى مريّة بجانة:

يبدو أن هذا الطريق قديم حيث أنه كان يربط بين مريّة بجانة قبل أن تتمصر وتصبح مدينة المرية بمرسى مدينة ترنانا.

2-الطريق البحري الرابط بين وهران والمرية:

هذا الطريق ذكره الإدريسي ووصف لنا بأن مدينة وهران تقابل مدينة المرية من ساحل بحر الأندلس، وأن سعة البحر بينهما مجريان، ولذا فقد ارتبطت المدينتين بطريق بحري هام، حيث ترسو بميناء وهران وهو المرسى الكبير المراكب الكبار والسفن السفرية. وظل هذا الطريق البحري نشطا لعدة قرون.

3-الطريق البحري بين مدينة مستغانم ومدينة دانية:

كانت مدينة مستغانم كما ذكر الإدريسي وهو مؤرخي القرن 6هـ/12م مدينة صغيرة، وهي مدينة ساحلية، وتبعد عن مدينة تنس بستين ميلا، ولها مرسى حسن، ولها عدة أسواق، وقدر لنا ابن سعيد أن عرض البحر بين مدينة مستغانم إلى ساحل مدينة دانية من الأندلس نحو ثلاث مجار، ومستغانم هي فُرض قبيلة مغراوة. وبناء على ما ذكره الإدريسي وابن سعيد فإن هذا الطريق فيما يبدو كان نشطا ومزدهرا، وهذا لتوفر أهم العوامل للنشاط التجاري وهو توفر ميناء حسن وكثرة الأسواق¹⁰.

4- الطريق البحري الرابط بين مدينة تنس ومرسى شنتبول:

ذكرنا سابقا أن الأندلسيين أسسوا مدينة تنس الحديثة، وبينها وبين البحر ميلان، وكان لها مرسى وهذا المرسى يقابل مرسى شنتبول الأندلسي، ولذلك فقد تم ربط مرسى المدينة بأحد مراسي الأندلس المقابلة له، وهو من مراسي مدينة لقنت البحرية .

5- الطريق البحري الرابط بين مدينة جزائر بني مزغنة ومدينة بنشكلة:

أشار البكري إلى أن ميناء مدينة جزائر بني مزغنة يقابل من بر الأندلس مدينة بنشكلة، وبينهما ست مجار، وهو مرسى مأمون في فصل الشتاء، ولا نستبعد وجود طريق بحري يربط بين مراسي هاتين المدينتين، وتمكن من انتزاعها من المرابطين في شهر ربيع الأول من سنة 600هـ/1203م¹¹.

6- الطريق البحري الرابط بين مدينة بجاية ومدينة طرطوشة:

كانت بجاية عاصمة لدولة بني حماد والتي أسسها الناصر بن علناس في سنة 460هـ/1068م، وكانت السفن بميناء بجاية حسب ما ذكره الإدريسي في حركة مستمرة محملة بمختلف البضائع، ويشير البكري إلى أن مرسى مدينة بجاية عامر بأهل الأندلس، وبشرقها نهر كبير تدخله السفن محملة بالبضائع، وهو مرسى مأمون في فصل الشتاء قد خرج بمحاذاة جزيرة الأندلس، ومن خلال وصف البكري نلاحظ أنه لا يوجد طريق بحري مباشر يربط بين مدينة بجاية وإحدى مدن العدو الأندلسية.

7- الطريق البحري الرابط بين تلمسان وبلاد الأندلس:

ترتبط تلمسان تجاريا ببلاد الأندلس عبر موانئها، ومن أهمها ميناء أرشقول الذي وصفه البكري بأنه ساحل تلمسان، ويبعد عن مدينة تلمسان كما ذكر لنا الحميري 25 ميلا، ويقابل مرسى أرشقول كما يذكر البكري من بر الأندلس مرسى قابطة بني أسود، ويسميه الإدريسي طرف قابطة بني أسود، ويقع هذا المرسى بين مدينة قرطاجنة ومدينة المرية حيث يبعد عن هذه الأخيرة مسافة 12 ميلا، وتقابل أرشقول كذلك مدينة المرية الأندلسية، لذلك فقد ارتبطت المدينتين بطريق بحري. وتعد هتين كذلك من أهم موانئ مدينة تلمسان حيث يفصلها عنها 30 ميلا.

ثالثا: المراكز التجارية بلاد المغرب الأوسط والأندلس:

اشتهرت بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس باحتوائها على العديد من المراكز التجارية.

1- بلاد المغرب الأوسط:

تم إنشاء العديد من المراكز التجارية في بلاد المغرب الأوسط ومن أهمها ما يلي:

أ-بونة: اشتهرت مدينة بونة بكثرة منتوجاتها الزراعية، وخاصة الحبوب كالقمح والشعير والفواكه، ومختلف أنواع الماشية من غنم وبقر، بالإضافة إلى العسل، كما تتوفر على معدن الحديد الذي كان يُصدر إلى مختلف أنحاء العالم، فتميزت بونة كما وصفها ابن حوقل بتجارة الغنم والصوف والماشية والدواب وسائر الكراع، وقد ذكر لنا الإدريسي بأن مدينة بونة تتوفر على أسواق حسنة، وكان أكثر تجارها من الأندلسيين الذين أغراهم توفرها على كل المنتجات زراعية كانت أو صناعية بالإضافة إلى رخص أسعارها¹².

ب-قلعة بني حماد: أصبحت القلعة مركزا تجاريا هاما منذ أن تم اتخاذها عاصمة للدولة الحمادية في القرن 5هـ/11م حيث كانت تجلب إليها مختلف المنتجات الزراعية أو الصناعية من مختلف الأقاليم كالزاب وبلاد زواوة وكتامة، وكانت واجهتها البحرية المتمثلة في بجاية-قبل تمصيرها- كما ذكر لنا البكري بحيث أدت هذه الأخير دور المرسى الرئيسي الذي يتم فيه عقد مختلف الصفقات التجارية مع التجار القادمين من بلاد الأندلس، وهذا لكون مينائها مأمون في فصل الشتاء، ويبدو أن الأندلسيين الذين استقروا ببجاية في القرون الأولى هم في الأصل تجار آثروا البقاء فيها لمزاياها الصحية بخلاف مدينة بونة¹³.

ج-بجاية: وصف البكري مدينة بجاية بأنها مدينة أهلة عامرة بأهل الأندلس، وبها واد كبير تدخله السفن محملة بمختلف البضائع والسلع، وقد اشتهرت بجاية كما يذكر ابن سعيد بإنتاج التين والقطن، وكان لها وادي في نهاية الحسن على شاطئيه البساتين والمنتزهات، ولها كما وصفها الحميري دار لصناعة المراكب والسفن، وهي كثيرة الفواكه والخيرات. ومن بجاية تركب السفن وتساfer إلى جميع الجهات وخاصة إلى بلاد الأندلس¹⁴.

د-مرسى الدجاج: وهي مدينة كما وصفها ابن حوقل عليها تقع على نحر البحر وعليها سور منيع، وقد اشتهرت هذه المدينة بمرساها، وإن كان هذا الأخير في فصل الصيف غير مأمون كما ذكر لنا البكري، وتتوفر المدينة كما يذكر ابن حوقل على الكثير من الفواكه والمأكول والمطاعم والقمح والشعير والألبان والمواشى ما يغرق غيرهم ممتن يجاورهم، وبها من الأشجار والثمر والتين خاصة العظيم الجسيم ما يحمل منه إلى البلاد النائية عنه وبها من رخص الأسعار أيضا، ورغم أن مرساها غير مأمون صيفا فإن ذلك لم يمنع الأندلسيين من ارتياده لوفرة خيراته واستيراد ما يحتاجونه من أسواق المدينة لرخص أسعارها¹⁵.

د- جزائر بني مزغنة: وجزائر بني مزغنة كما يذكر ابن حوقل مدينة عليها سور على سيف البحر، وتتوفر على الكثير من الفواكه ومن أهمها التين، بالإضافة إلى الماشية من البقر والغنم، والعسل والسمن، وبها أسواق كثيرة، ويبدو أن الكثير من تجار الأندلس كانوا يرتادون هذه المدينة لشراء ما يحتاجونه من سلع وبضائع¹⁶.

ه- تنس: تبعد هذه المدينة عن البحر كما يذكر البكري ميلان، وهي مدينة مسورة داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى، وتنس الحديثة بناها الأندلسيون كما ذكرنا سابقا، وبها أسواق كثيرة حيث كان يفد إليها تجار الأندلس كما يذكر الحميري ويستوردون منها مختلف أنواع الحبوب والطعام، وتتميز أسواقها بأنها رخيصة الأسعار، وأما ابن سعيد فقد أعلمنا بأن مدينة تنس تشتهر بكثرة إنتاج القمح، وكان يُحمل في السفن التجارية إلى سواحل بلاد الأندلس¹⁷.

و- هنين: مدينة بغرب المغرب الأوسط، وهي مدينة كما يذكر الحميري تقع على ساحل البحر، وهي تقع في شمال تلمسان، (بوابة تلمسان نحو الأندلس) وهي بقرب من ندرومة، ولمدينة هنين مرسى جيد تفد إليه مختلف السفن والمراكب التجارية، وتتميز المدينة بتوفرها على الكثير من المزارع والبساتين الطيبة، وقد اشتهرت المدينة في العصر الموحد والزياني، وقد ارتبطت مكانة المدينة أكثر بتلمسان، ومن خلال ميناء هنين كان يتم تصدير السلع والبضائع إلى مختلف أنحاء بلاد الأندلس¹⁸.

ز- تابحرية: من مدن المغرب الأوسط مدينة تابحرية وهي كما يذكرها البكري بينها وبين تارنانا عشرة أميال، وهي مدينة مشهورة على ساحل البحر بها مسجد جامع متقن البناء يشرف على البحر، ولها أسواق جامعة، وهي محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة القادمة من بلاد السودان، فتكون محملة خاصة بالذهب والرقيق، الذي يتم تصديره إلى بلاد الأندلس¹⁹.

2- بلاد الأندلس: من أهم المراكز التجارية ببلاد الأندلس نذكر ما يلي:

أ-قرطبة: مدينة ذات سور من حجارة ومحالّ حسنة ورحاب فسيحة، وتقع قرطبة على نهر عظيم عليه قنطرة عظيمة من أجّل البنيان قدراً وأعظمه خطراً، ووصف الإدريسي مدينة قرطبة بأنها قاعدة بلاد الأندلس ودار الخلافة الأموية، ثم ذكر لنا الحالة التجارية للمدينة بأن ذات مدن خمسة وفي كل مدينة منها ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات، وأما ابن حوقل فقد ذكر لنا بأن قرطبة أعظم مدينة بالأندلس، وتمتاز بفساحة أسواقها ونظافة محلاتها²⁰.

وتبزر أهمية قرطبة التجارية في إنتاجها الوفير من معدن الزئبق، وذكر لنا الحميري أنه كان يستخرج منها معدن الزئبق، وفيه يعمل الزنجفور، وكان يعمل في استخراج هذا المعدن أزيد من ألف رجل فقوم للنزول وقطع الحجر، وقوم لنقل الحطب لحرق المعدن، وقوم لعمل أواني السبك والتصفية، وقوم لبنيان الأفران والحرق، ثم يتم تصديره لمختلف المناطق، ومنها إلى بلاد المغرب الأوسط. وأما المراكشي فيذكر أنه على أربع مراحل من مدينة قرطبة موضع يسمى شلون، وفيه يستخرج معدن الزئبق، ومنه يصدر إلى جميع بلاد المغرب الإسلامي²¹.

وكان معدن البلور يستخرج من حصن منتون من عمل قرطبة بجبل شجيران، كما اشتهرت منطقة كرتش وهي مناطق قرطبة باستخراج نوع جيد من الفضة، ونظراً لاحتوائها على كميات وفيرة من معدن الحديد فقد اقتصت بصناعة الآلات الحديدية خاصة فيما يتعلق بالآلات البناء، وقامت فيها صناعة آلات السفن كالمراسي والمسامير. واشتهرت قرطبة في عهد الخلافة الأموية بصناعة المنسوجات بمختلف أنواعها ومنها المنسوجات الحريرية، ولكن هذه الصناعة سرعان ما اضمحلت بعد سقوط الخلافة الأموية في سنة 422هـ/1031م حيث تفوقت عليها بعد ذلك مدينة المرية. وكانت قرطبة ذات تجارة نشطة مزدحمة أسواقها بمختلف السلع والبضائع، وكانت غالبية هذه

الأسواق تحيط بجامع قرطبة، كما كان بقرطبة مخازن للبضائع تؤجر للتجار الأجانِب²².

ب- إشبيلية: تعتبر مدينة إشبيلية من أولى عواصم بلاد الأندلس بعد الفتح الإسلامي لها في سنة 92هـ/711م، وهي كما يذكر الحميري مدينة قديمة، وقريبة من البحر على حد قول الحموي، ويطل عليها جبل الشرف، وسمي بالشرف لأنه مشرف من ناحية إشبيلية إلى الجنوب إلى الشمال، وهو تل ترابه أحمر، ومغروس به الكثير من أشجار الزيتون، ويعتبر زيتته من أطيب الزيوت، كما تمتاز هذه المدينة بإنتاج القطن، وقصب السكر، ويعطينا الحميري صورة عن الأوضاع التجارية لمدينة إشبيلية بأنها مدينة كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وسوقها عامرة وخلقها كثير وأهلها مياسير، وجل تجاراتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب براً وبحراً، ويتم جمع هذا الزيت من جبل الشرف، ولكثرة أشجار الزيتون والتين على هذا الجبل حيث أن مسافة أربعين ميلاً كلها في ظل شجر الزيتون والتين، وبلغ جباية إشبيلية في عهد الأمير الأموي الحكم بن هشام خمسة وثلاثين ألف دينار ومائة دينار، وقد ذكر لنا الإدريسي بأن إشبيلية تمتاز بأسواقها الكثيرة، وبكثرة عمليات البيع والشراء لمختلف أنواع السلع والبضائع، حيث كانت تُصدر الكثير من منتجاتها وخاصة الزيت إلى مختلف مشارق الأرض ومغاربها ومنها بلاد المغرب الأوسط، كما أنها تفوقت على سائر مدن الأندلس في زراعة القطن الذي كان يُصدر جزء منه إلى بلاد المغرب الأوسط²³.

ج- طليطلة: تقع طليطلة بين الجوف والشرق من قرطبة على شاطئ نهر تاجة، وهي وسط بلاد الأندلس تقريبا، وكانت من قبل الفتح الإسلامي عاصمة لدولة القوط الغربيين، وقد اشتهرت المدينة بإنتاجها الوفير من الزعفران الذي كان يُصدر إلى جميع أنحاء العالم، وكانت الغلال كما يذكر الحموي تبقى في مطاميرها 70 سنة لا تتغير، كما اشتهرت بإنتاج نوع من التين نصفه أخضر ونصفه أبيض في منتهى الحلاوة. وسقطت طليطلة بيد النصارى في سنة 478هـ/1086م على يد ملك قشتالة ألفونسو السادس²⁴.

د-المرية: مدينة محدثة أمر ببنائها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر في سنة 344هـ/955م. وتقع على الساحل الشرقي للأندلس بين إمارتي مالقة ومرسية، وهي مدينة كبيرة من كورة ألبيرة، وتعتبر هي ومدينة بجانة بابي الشرق، وكان ساحلها كما يذكر القلقشندي من أحسن السواحل، وترجع أهمية المدينة التجارية في كونها اتخذت قاعدة للأسطول الأندلسي، وكانت كما يذكر الحموي مدينة يركب التجار وفيها تُحمل مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، وكان مرسى المرية مقسم إلى قسمين قسم للعدد والآلات الحربية، والقسم الآخر للمراكب التجارية، وانتشرت بالمرية صناعة الموشى: الديباج، حيث تفوقت على قرطبة وأجادت هذه الصناعة إجادة تامة، وبالمدينة أعداد كثيرة من الطرز، فقد بلغت طرز الحرير في العهد المرابطي كما يذكر الإدريسي فيها 800 طرز، ويصنع بها من أنواع الثياب الكثير مثل الديباج والسقلاطون والأصبهاني والجرجاني والستور المكلمة والثياب المعينة. كما اشتهرت المرية بإنتاجها الوفير من معدن الحديد الذي يصنع منه الآلات الحربية كالدرع والرماح والتروس، وقد ازدحمت المرية بأعداد كبيرة من الفنادق حيث بلغ عددها نحو 997 فندقا. وكان أهل المرية من أيسر الناس وأتجرها، وفيها جميع أنواع التجارات تصريفا وادخارا²⁵.

ه-غرناطة: تقع هذه المدينة في جنوب الأندلس، وهي تقع على الضفة اليمنى لنهر شنيل أحد فروع الوادي الكبير، وتشرف من الجنوب الغربي على سهل متسع أخضر وهو المرج أو الفحص الذي يمتد غربا حتى مدينة لوشة، ومن الجنوب الشرقي على جبال سيرانيفاذا التي تغطيها الثلوج، ومعنى غرناطة الرمانه بلسان عجم الأندلس، ويذكرها الحميري باسم أغرناطة وهي من أقدم مدن الأندلس، وكانت من أهم المراكز التجارية إنتاجا للكتان، وكانت تنتج ثياب اللباس المحررة الصنع ويعرف بالمبلد المختم ذو الألوان العجيبة، كما اشتهرت المدينة بإنتاجها الوفير من الفواكه كالتفاح والقرصيا البعلبكية والجوز، واللوز، والقسطل والعنب والتين. وقصب السكر وكانت تستخرج منها

المعادن كالذهب والفضة والحديد والنحاس، ويشق مدينة غرناطة نهر كان يعرف في القديم بنهر القلزم، ثم أصبح يعرف بنهر حدارة يلتقط منه سحالة الذهب الخالص، ويعرف بالذهب المدني، وعليه أرحاء كثيرة في داخل المدينة، وازدهرت التجارة في عهد أمراء بني الأحمر حيث انتشرت الأسواق والمتاجر والفنادق في كل أنحاء المدينة²⁶.

و-مالقة: تقع هذه المدينة على بحر الزقاق المعروف بالمجاز، وهي واسطة بين الجزيرة الخضراء والمرية، وقد ساعدها موقعها الجغرافي على الساحل الشرقي الجنوبي لبلاد الأندلس على أن تكون منفذا عظيما إلى بلاد المغرب ومنها إلى بلاد المشرق. ويبرز لنا المقري مزايا هذه المدينة التجارية في كونها تتوفر على المرافق البرية والبحرية، وبكثرة فواكهها وخاصة العنب، والرومان، والتين، واللوز. وكانت مالقة تحتوي على مبان فخمة وحمامات وأسواق كثيرة، وكانت من المدن التي يُستخرج منها الياقوت الأحمر الذي استخدم في صناعة الحلي من الجواهر والذهب، كما اشتهرت مالقة بصناعة الفخار المذهب الذي كان يصدر إلى خارج البلاد، وبصناعة نوع من الجلود يسمى السفن وهو خشن غليظ كجلود الماشية حيث كان يصنع منه الأحزمة والأحذية والحقائب والأغشية، كما اشتهرت مالقة بالصناعة النسيجية كالصناعة الحريرية وصناعة الملابس. وعرفت مالقة بصناعة الحديد حيث صنعوا منه السكاكين والمقصات والآلات الحربية. وقد نشطت الحركة التجارية في مالقة حيث انتشرت بها الأسواق التجارية التي امتلأت بمختلف أنواع السلع من غلال وشعير وقمح وذرة ومختلف أنواع الفواكه، ومما زاد من أهمية مالقة التجارية احتوائها على ميناء تجاري هام أقيمت بها دار لصناعة السفن التجارية إلى جانب السفن الحربية وخاصة الحراريق. وازدادت ثروة مالقة بفضل الضرائب المفروضة على تجارة الصادرات والواردات وخاصة تجارة الرقيق القادمة من بلاد الصقالبة²⁷.

ز-بجاجة: مدينة ساحلية في جنوب الأندلس على مصب وادي أندرش في شرق المرية، وحول بجاجة جنات وبساتين ومنتزهات وكروم وأموال كثيرة لأهل المرية، وكان لبجاجة أهمية تجارية كبيرة وهذا لوقوعها في الساحل الجنوبي للأندلس، وكانت من المنافذ المؤدية إلى بلاد المغرب الأوسط، وكانت الميرة تُجلب إليها من العدو، وضروب المرافق والتجارات، وكان بها الكثير من الفنادق المبنية من الحجارة، وكانت تخصص لنزول الغرباء والتجار، وانتشرت ببجاجة طرز صناعة الحرير التي جنت من ورائها أرباحا طائلة، وكانت على رأي ابن سعيد مشهورة بكثرة القمح الذي كان يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس²⁸.

رابعاً: المبادلات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس: نتطرق في هذا المبحث إلى أهم الصادرات والواردات التي كانت قائمة بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس.

1-صادرات المغرب الأوسط نحو بلاد الأندلس:

من أشهر صادرات المغرب الأوسط نحو بلاد الأندلس ما يلي:
أ-الحبوب: قام المغرب الأوسط بتصدير مختلف المواد الغذائية وفي مقدمتها الحبوب إلى بلاد الأندلس، وخاصة في الفترات التي كانت فيها بلاد الأندلس تشهد أزلمات وحروب وفتن داخلية²⁹، وهذا طيلة القرن 3هـ/9م إلى غاية القرن 6هـ/12م، فابن حوقل (ت. بعد 367هـ/978م) وهو مؤرخي القرن 4هـ/10م يذكر لنا أن مدينة وهران كانت تصدر مختلف الغلال إلى بلاد الأندلس، وأما الإدريسي (ت، 560هـ/1165م) وهو مؤرخي القرن 6هـ/12م فيؤكد لنا أن الحنطة وغيرها من الحبوب كانت تُجلب من مدينة تنس ووهران وأرزاو (أرزيو)، وتوجه من ميناء مستغانم نحو بلاد الأندلس، وأما صاحب الاستبصار فيذكر لنا أن مدينة تنس كانت بها أسواق كثيرة، وكان يُصدر الطعام منها إلى بلاد الأندلس، وهذا لكثرة الزرع عندهم على حسب تعبيره³⁰.

واستورد الأندلسيون من بلاد المغرب الأوسط التمور، وهذا لطبيعة المناخ الأندلسي وهو مناخ البحر الأبيض لمتوسط والمناخ المحيطي، أي المناخ المعتدل والبارد الذي لا يسمح بزراعة النخيل وإنتاج التمر، رغم بعض المحاولات لإنتاجه في جنوب الأندلس إلا أنها محاولات باءت الفشل حيث يذكر لنا القزويني أن النخيل لا تنجح زراعته إلا في مدينة ألس إلا أنها لم تنجح في إنتاج الكميات المطلوبة، لذلك لجأ الأندلسيون إلى استيراد التمر من بلاد المغرب الأوسط، وخاصة من مدينة بسكرة التي كانت ولا تزال تمتاز بجودة تمورها³¹.

ب- المواشي: تذكر لنا المصادر التاريخية أن الإنتاج الحيواني لبلاد الأندلس لم يكن يلبي احتياجات سكانه، لذلك اضطروا إلى الاستيراد من دول المغرب الإسلامي، وبالأخص من المغرب الأوسط .

ومن المواشي التي قام المغرب الأوسط بتصديرها إلى بلاد الأندلس البقر، وقد ذكر ابن حوقل أن أكثر تجارات سكان مدينة بونة كان من الماشية، وأن أكثر سوائمهم من البقر، كما أكد ذلك البكري بأن أكثر لحمائهم من البقر، وأكثر تجارها من بلاد الأندلس لذا من الراجح أن تكون مدينة بونة قد قامت بتصدير البقر إلى بلاد الأندلس، وأكد لنا ابن غالب أنه كانت تجلب إلى مدينة قرطبة في أيام اكتمالها والذي يبدو في عهد الخلافة الأموية ما بين 70 ألف إلى 100 ألف رأس من الماشية حاشا البقر³².

وصدر المغرب الأوسط الجمال والخيول والبيغال، وخاصة وأن الأندلس عاش فترة عصبية من الفتن والثورات الداخلية، والحروب المستمرة التي قادتها الممالك النصرانية في شمال الأندلس، وهذا ما دفع بالسلطة الحاكمة بالأندلس في عهد الخلافة الأموية إلى استيراد أعداد كبيرة من الخيول والبيغال، حيث وصلت إلى مدينة الزهراء عددا من الجمال حيث قام بنو خزر بإرسال 132 جملا، وأرسل زيري بن عطية إلى المنصور بني عامر في سنة

381هـ/991م 50 جملا من المهاري السابق و200 حصان، وفي أحد المرات
جُلب إلى المنصور بن أبي عامر مرة أخرى ألف حصان بالإضافة إلى البغال .
ج- الصوف والجلود: ذكرنا سابقا أن بلاد المغرب الأوسط تحتوي على أعداد
كبيرة من الماشية، وبالتالي مثلت الجلود والصوف إحدى أهم صادرات المغرب
الأوسط نحو بلاد الأندلس، وقد أدى تطور الصناعة النسيجية في أوروبا ومنها
بلاد الأندلس .

د-المرجان: من أهم مدن المغرب الأوسط التي اشتهرت بإنتاج المرجان نذكر
مدينة مرسى الخزر التي تقع شرق مدينة بونة. وتقابل مدينة باجة من جهة
الشمال على حد تعبير الإدريسي، وقد احتوت على أجود أنواع المرجان في
العالم، حيث ذكر لنا البكري وجود المرجان بهذه المدينة وبها سوقا عامرة،
وبالتالي كانت مقصدا للكثير من تجار الأندلس، حيث عمل هؤلاء التجار على
استئجار العمال لاستخراج المرجان والاتجار به، فيصف لنا الإدريسي ذلك
بأنه تم تخصيص خمسون قاربا أو أكثر ، ويعمل في كل قارب عشرون رجلا أو
أكثر فيستخرج الكثير من المرجان الذي ينبت في البحر كالشجر وكان يتحجر
بين جبلين عظيمين، وكان من أنفس مرجان الدنيا، ولذلك كان يتم بيعه
بالأموال الطائلة، وكان التجار الأندلسيون يقومون باستيراد المرجان من
أسواق مدينة مرسى الخزر ثم يقومون بتصديره إلى مختلف أنحاء العالم
وخاصة إلى الهند والصين³³.

هـ-الذهب: كان تجار المغرب الأوسط يقومون بجلب الذهب من بلاد السودان
الغربي وخاصة من بلاد غانة وجالام ووبوري وبامبوك وغيرها إلى مختلف مدن
المغرب الأوسط، ثم يتم توزيعه عبر الموانئ التابعة لهذه المدن، فيتم تصديره
إلى العديد من دول العالم، ومنها بلاد الأندلس، وقد اعتمدت الأندلس على
مدينة تهرت -خاصة في عهد الدولة الرستمية- لاستيراد الذهب باعتبار أن هذه
المدينة بمثابة حلقة وصل بين بلاد الأندلس وبلاد السودان الغربي، وقد

ارتبطت مدينة تهرت ببلاد السودان الغربي عبر طريقين الأول: طريق غربي يمر عبر سجلماسة، والثاني شرقي عبر وارجلان (ورقلة)³⁴.

وقد عرفت الحركة التجارية بالأندلس انتعاشا كبيرا بسبب تدفق ذهب السودان الغربي القادم من موانئ المغرب الأوسط، وأصبحت قرطبة ذات ثراء عظيم بفضل ذهب السودان الغربي، وخلال القرن 5هـ/11م وعندما تمت السيطرة على طرق الذهب بصفة قانونية من قبل المرابطين والموحدين حيث أصبح لموانئ الأندلس دور مهم في توزيع الذهب الخام والنقود الذهبية إلى المناطق الأخرى من البحر المتوسط³⁵.

و-العبيد: ارتبطت تجارة العبيد بتجارة الذهب باعتبار أن مصدرهما واحد وهو بلاد السودان الغربي، إذ شكلتا بضاعتين أساسيتين في قائمة السلع التي يجلبها تجار المغرب الأوسط من بلاد السودان الغربي، وكان العبيد مثل الذهب من السلع التي يأتي التجار الأندلسيون لاقتنائها من بلاد المغرب الأوسط، وكان هؤلاء العبيد يباعون في أسواق النخاسة في بلاد السودان الغربي وخاصة في مدينة غاو، وكان معظم العبيد الذين يباعون في الأسواق السودانية يجلبون من مناطق الغابات الجنوبية الوثنية إلا أن أعدادا كبيرة من بينهم أيضا كانت من ممتلكان السكان العادية.

الأوسط من العبيد إلى بلاد الأندلس، وهذا لحاجة أمراء بني أمية لعبيد السودان وخاصة عبيد جوجو الذي كانوا يستخدمون في الحروب، بإضافة إلى أن العبيد المجلوبين من بلاد السودان الغربي كانوا يستخدمون في الحراسة والخدمة في القصور، وفي نقل البضائع وحراسة القوافل، والعمل في المزارع والمناجم³⁶.

2-واردات المغرب الأوسط من بلاد الأندلس:

أ-القطن والكتان: اشتهرت مدينة إشبيلية بزراعة القطن الذي كان يمتاز بحسنه، وكانت تصدره إلى مختلف أنحاء الأندلس، وكان يصدر جزء منه إلى

بلاد المغرب الأوسط، ولأن بلاد المغرب الأوسط لم يكن ينتج كميات كبيرة من القطن والكتان فقد اضطر إلى استيراد كميات كبيرة من الأندلس لتلبية احتياجاته، وخاصة من بلنسية والمرية ومالقة ومرسية. وقد أشار المقري إلى أن بلنسية كانت تصدر الكتان والذي كان يعرف بالكتان البلنسي إلى بلاد المغرب الأوسط³⁷.

ب- الحرير: اشتهرت منطقة جنوب الأندلس بإنتاج كميات كبيرة من الحرير، حيث تم تخصيص مزارع كبيرة لغراسة التوت من أجل غذاء اليرقات، حيث كان في مدينة جيان حسب ما يذكره الإدريسي لوحدها أكثر من ثلاثة آلاف قرية تربي فيها دود الحرير، وعرفت كورة إلبيرة بجودة حريرها وكثرتها.

ج- المعادن: استورد المغرب الأوسط بعض المعادن التي لم تكن موجودة في أراضيه من بلاد الأندلس، وكانت الاستيراد يتم في بعض الأحيان على شكل مواد خام، وبعضه الآخر على شكل مواد مصنعة كالآلات والأدوات والأواني، فكانت تصل شحنات كبيرة منها إلى موانئ المغرب الأوسط، وتذكر لنا بعض المصادر أن سكان بلاد المغرب الأوسط كانوا يُقبلون على اقتناء الأدوات والأواني النحاسية خاصة فيما يخص جهاز العروس مثل المصابيح والطُسُوت النحاسية وغيرها، وذلك لدقة صنعها وجمال منظرها، ومن أنواع النحاس المصدر كما ذكرته لنا المصادر هناك النحاس الملمع الصقيل والمطروق والمسبوك، والمسحوق والمرن، حيث ذكرت لنا بعض المصادر أنه تم إبحار سفينة محملة بشتى أنواع النحاس من المرية إلى تلمسان وكان ذلك في سنة 534هـ/1140م³⁸.

وتعتبر بلاد الأندلس من أشهر الدول إنتاجاً لمعدن الزئبق، وكان يوجد كما يذكر لنا البكري بجبال البرانس ومنه يصدر إلى مختلف أنحاء العالم ومنه بلاد المغرب الأوسط، بالإضافة إلى معدن القصدير والكبريت ومعدن الكحل الذي يشبه الأصبهاني. وأما الزهري فيعلمنا بأن الزئبق كان يستخرج من موضع يسمى ببطروش، وأما الإدريسي فيذكر أن معدن الزئبق كان يستخرج من شمال

قرطبة بحصن إبال، وكانت بلاد المغرب الأوسط من أولى المناطق المستوردة للزئبق الأندلسي، وتكمن أهمية الزئبق في استخداماته الكثيرة، ومن أهمها تنقية الذهب، واستخراج مشتقاته خاصة كبريت الزئبق الذي ينتج عنه اللون القرمزي والذي يستعمل في الأصبغة والحبر والتلوين. ولذا لاقى الزئبق إقبالا كبيرا من تجار المغرب الأوسط الذين كانوا يقومون بدورهم ببيعه للصاغة والصباعين وغيرهم³⁹.

2-الورق: اشتهرت بلاد الأندلس بصناعة الورق (الكاغد) عالي الجودة، فاشتهرت شاطبة بصناعة أفضل أنواع الورق والذي عرف بالورق الشاطبي، وكان يتميز عن غيره بكونه ورق ناعم وصقيل، ويذكر لنا الإدريسي أن ورق شاطبة لا نظير له في شتى أنحاء العالم. وأما الحموي فقد أشار إلى أنه كان يعمل بمدينة شاطبة الكاغد الجيد ويحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس. وكان أفضل أنواع الورق مصنوعا في مدينة ياتيفا والذي عرفت في المصادر العربية بشتبي. ولا توجد لدينا وفي حدود ما اطلعت عليه من مصادر ومراجع نصوص تثبت أن المغرب الأوسط استورد الورق من بلاد الأندلس. ولكن هذا لا يعني أن تجار المغرب الأوسط لم يستوردوا الورق الأندلسي الذي بلغت شهرته الآفاق، وخاصة إذا علمنا أنه لم تكن بالمغرب الأوسط مصانع للورق تذكر، ونظرا لحاجة الناس للورق لذلك حيث كان يستخدم في تدوين الكتيب والسجلات الحكومية وكتابة الرسائل وعقود الزواج وغير ذلك فقد تمت تغطيته من أقرب المناطق لأرض المغرب الأوسط وهي بلاد الأندلس⁴⁰.

3-الرقيق: يعتبر الرقيق الأبيض أو ما يعرف بالصقالبة الذين كانوا يجلبون من شرق أوروبا من أشهر السلع التي اشتهرت بها بلاد الأندلس. وانتشرت تجارة الرقيق بين التجار اليهود الأندلسيين، فيذكر لنا ابن خرداذبة أن تجار اليهود كانوا يسافرون إلى بلاد المغرب بحرا أن يبيعون الخدم والجواري والغلمان، وكان¹ العبيد الصقالبة مطلوبين بكثرة في أسواق المغرب الأوسط، ولعل ذلك

راجع إلى إخلاصهم في أداء واجباتهم المنزلية أو الحربية، بالإضافة إلى الجمال الذي تميز به الفتيان والجواري وبالتالي فإن أسعارهم كانت باهظة الثمن، وبالتالي فإن أكثر من حظي بهؤلاء كانوا من أصحاب الجاه والمال.

والجدير بالذكر فإن النشاط التجاري الذي كان قائما بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس لم ينحصر فقط في تبادل السلع والبضائع بين البلدين، بل شكل المغرب الأوسط ممرا ومعبرا للبضائع القادمة من جنوب الصحراء وبلاد السودان الغربي إلى بلاد الأندلس، فكان تجار المغرب الأوسط يحملون الذهب والعبيد والصمغ إلى بلاد الأندلس، ثم يعودون ببعض المنتجات الزراعية والصناعية إلى بلاد السودان الغربي، ومن أهم مدن المغرب الأوسط التي قامت بدور الوساطة التجارية بين بلاد السودان الغربي وبلاد الأندلس مدينة تهرت، ووارجلان، وبجاية، ومدينة تلمسان التي كانت تقصدها القوافل التجارية القادمة عبر الصحراء وتتجه عبر موانئ هنين وأرشقول إلى بلاد الأندلس. وازداد هذا النشاط التجاري خاصة بعد أن أصبحت تلمسان عاصمة للدولة الزيانية منذ سنة 635هـ/1237م، حيث كثرت مبادلاتها مع غرناطة التي أصبحت عاصمة لمملكة غرناطة بعد انهيار دولة الموحيدين⁴¹.

خاتمة:

خلاصة القول أن النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس ظل مستمرا وبصورة دائمة بين البلدين طيلة فترة العصور الوسطى، وقد عرفت المبادلات التجارية ازدهارا كبيرا، وحقق كل طرف التكامل الاقتصادي بحيث أن كل دولة منهما كانت تلبي احتياجات ما ينقصها من منتوجات زراعية أو صناعية من الطرف الآخر، وتواصل النشاط التجاري بين البلدين رغم سقوط معظم المدن الأندلسية بعد هزيمة دولة الموحيدين في معركة حصن العقاب أمام مملكة قشتالة في سنة 609هـ/1212م، حيث تواصل التبادل التجاري بين مملكة غرناطة وبلاد المغرب الأوسط الذي كان آنذاك تحت حكم

الدولة الزيانية، ولم يتوقف النشاط التجاري المزدهر بين البلدين إلا بسقوط مملكة غرناطة المعقل الأخير للمسلمين بيد الإسبان النصراري في سنة 497هـ/1492م.

الهوامش:

¹ - شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير سلامة، ط4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ج1، ص20؛ بكري العيد، العلاقات الثقافية بين الأندلس ودول المغرب بين القرنين 7-9هـ/13-15م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: مزهودي مسعود، جامعة باتنة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، 1435هـ-1436هـ/2014-2015م، ص42.

² بعد أن احتل قائد الدولة العبيدية (الفاطمية)- مصالة بن حبوس المكناسي في المغرب الأوسط مدينة نكور عبر أبناء سعيد بن صالح إلى الأندلس فرحب بهم الأمير الأموي عبد الرحمن الثالث وأسكنهم في مالقة وبجاجة، وكتب موسى بن أبي العافية إلى صاحب الأندلس عبد الرحمن بن محمد يسأله نصرته عليه ويقرب له المأخذ، وأعانه على ذلك أبو محمد عبد الملك بن أبي حمادة عند موسى بن محمد بن جدير. فأمر عبد الرحمن أهل بجاجة وغيرهم من أهل السواحل بإقامة خمسة عشر مركبا حربية ثم ججزها بالرجال والسلاح والأزودة والأموال لمواجهة الخطر الشيعي الفاطمي في بلاد المغرب لمزيد من التفصيل أنظر: عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1992، ج2، ص748؛ عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، 1999، ص ص119-120.

⁴ - ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط3، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1414هـ/1994م، ص75.

⁵ - هواري موسى، "التواصل بين بلاد المغرب والسودان الغربي"، مجلة المفكر، المجلد 05، العدد 01، 2021م، جامعة الجزائر، ص ص325-326 بتصرف.

⁷ - محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1982، رفيق خليفي، الأندلسيون وتنشيط حركية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط، أعمال الملتقى الدولي الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، يومي 07-08 ديسمبر 2009م، ص ص101-102؛ ص ص141-143.

⁸ - البكري، المصدر السابق، ج2، ص738؛ خليفي، المرجع السابق، ص ص143-144.

- 10 - البكري، المصدر السابق، ج2، ص737؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص271، ابن سعيد، المصدر السابق، ص142.
- 11 - البكري، المصدر السابق، ج2، ص756-756؛ خلوط، المرجع السابق، ص206-207؛ على بن أبي زرع، الأئیس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط-المملكة المغربية، 1972م، ص132.
- 12 - محمد بن حوقل، صورة الأرض، دار صادر، بيروت-لبنان، 1938م، ج1، ص76؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص291؛ خلوط المرجع السابق، ص139.
- 13 - خلوط، المرجع السابق، ص139-140.
- 14 - البكري، المصدر السابق، ج2، ص397؛ المقري، نفع الطيب بغصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، دار صادر، بيروت-لبنان، 1900م، ج1، ص143؛ مسعد، ص131.
- 14 - البكري، المصدر السابق، ج2، ص905؛ الحميري، المصدر السابق، ص59؛ الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت-لبنان، 1995م، ج1، ص195؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص542.
- 14 - الحموي، المصدر السابق، ج4، ص40، بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ط3، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1955م، ج2، ص9.
- 15 - البكري، المصدر السابق، ج2، ص397؛ المقري، نفع الطيب بغصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، دار صادر، بيروت-لبنان، 1900م، ج1، ص143؛ مسعد، ص131.
- 15 - البكري، المصدر السابق، ج2، ص905؛ الحميري، المصدر السابق، ص59؛ الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت-لبنان، 1995م، ج1، ص195؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص542.
- 15 - الحموي، المصدر السابق، ج4، ص40، بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ط3، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1955م، ج2، ص9.
- 16 - البكري، المصدر السابق، ج2، ص397؛ المقري، نفع الطيب بغصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، دار صادر، بيروت-لبنان، 1900م، ج1، ص143؛ مسعد، ص131.
- 16 - البكري، المصدر السابق، ج2، ص905؛ الحميري، المصدر السابق، ص59؛ الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت-لبنان، 1995م، ج1، ص195؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص542.
- 16 - الحموي، المصدر السابق، ج4، ص40، بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ط3، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1955م، ج2، ص9.
- 17 - البكري، المصدر السابق، ج2، ص397؛ المقري، نفع الطيب بغصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، دار صادر، بيروت-لبنان، 1900م، ج1، ص143؛ مسعد، ص131.

- 17- البكري، المصدر السابق، ج2، ص905: الحميري، المصدر السابق، ص59: الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت-لبنان، 1995م، ج1، ص195: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص542.
- 17- الحموي، المصدر السابق، ج4، ص40، بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ط3، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1955م، ج2، ص9.
- 18- البكري، المصدر السابق، ج2، ص397: المقري، نفح الطيب بغصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، دار صادر، بيروت-لبنان، 1900م، ج1، ص143: مسعد، ص131.
- 18- البكري، المصدر السابق، ج2، ص905: الحميري، المصدر السابق، ص59: الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت-لبنان، 1995م، ج1، ص195: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص542.
- 18- الحموي، المصدر السابق، ج4، ص40، بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ط3، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1955م، ج2، ص9.
- 18- كانت بلاد الأندلس تشهد حروباً كثيرة مع الممالك النصرانية وخاصة مملكة قشتالة وأرغون، بالإضافة إلى الصراعات القائمة بين ملوك الطوائف خلال القرن 5هـ/11م حيث كان يستعين هؤلاء بالنصارى ضد بعضهم البعض.
- 18- البكري، المصدر السابق، ج2، ص905: الحميري، المصدر السابق، ص59: الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت-لبنان، 1995م، ج1، ص195: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص542.
- 18- الحموي، المصدر السابق، ج4، ص40، بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ط3، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1955م، ج2، ص9.
- 18- كانت بلاد الأندلس تشهد حروباً كثيرة مع الممالك النصرانية وخاصة مملكة قشتالة وأرغون، بالإضافة إلى الصراعات القائمة بين ملوك الطوائف خلال القرن 5هـ/11م حيث كان يستعين هؤلاء بالنصارى ضد بعضهم البعض.
- 18- البكري، المصدر السابق، ج2، ص905: الحميري، المصدر السابق، ص59: الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت-لبنان، 1995م، ج1، ص195: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص542.
- 18- الحموي، المصدر السابق، ج4، ص40، بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ط3، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1955م، ج2، ص9.
- 18- كانت بلاد الأندلس تشهد حروباً كثيرة مع الممالك النصرانية وخاصة مملكة قشتالة وأرغون، بالإضافة إلى الصراعات القائمة بين ملوك الطوائف خلال القرن 5هـ/11م حيث كان يستعين هؤلاء بالنصارى ضد بعضهم البعض.

18 - ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص78؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص271؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد-العراق، 1986م، ص133.
18 - زكريا بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ت. ط، ص502؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص43؛ خلوط، المرجع السابق، ص253-254.

23 - البكري، المصدر السابق، ج2، ص905؛ الحميري، المصدر السابق، ص59؛ الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت-لبنان، 1995م، ج1، ص195؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص542.
24 - الحموي، المصدر السابق، ج4، ص40، بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ط3، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1955م، ج2، ص9.
25 - كانت بلاد الأندلس تشهد حروباً كثيرة مع الممالك النصرانية وخاصة مملكة قشتالة وأرغون، بالإضافة إلى الصراعات القائمة بين ملوك الطوائف خلال القرن 11هـ/11م حيث كان يستعين هؤلاء بالنصارى ضد بعضهم البعض.
25 - ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص78؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص271؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد-العراق، 1986م، ص133.
25 - زكريا بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ت. ط، ص502؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص43؛ خلوط، المرجع السابق، ص253-254.
25 - ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص76؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص717؛ قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 01، العدد 01، 1374هـ/1955م، ص296؛

